مفهوم الرواية و عناصرها

حيرش أحمد
جامعة الجلفة

مدخل :

تعتبر الرواية جنسا أدبيا قائما بذاته ، له أسسه النقدية وأنماطه النوعية وقد تعددت الآراء النقدية حول مفهومها فكانت عند :

1- ميخائيل باختين :هي ظاهرة متعددة في أساليبها ، متنوعة في أنماطها الكلامية متباينة في أصولها، يقع الباحث فيها على عدة وحدات أسلوبية غير متجانسة ، نوجد أحيانا في مستويات لغوية مختلفة وتخضع لقوانين أسلوبية مختلفة .

كذلك يعرفها على أنها : «ملتقى كثير من الجهود الفلسفية والنقدية الساعية إلى استبعاد التبديلات المجتمعة المتسارعة وتنظير مسارات التمظهر والتعبير».

2- محمود أمين : يحدد الرواية من المنظور الإيديولوجي والواقعي فيرى :«أن الخطاب الروائي بشكل عام هو بنية لغوية دالة ، أو تشكيل لغوي سردي دال ، يصوغ عالما موحدا خاصا ، تتنوع وتتعدد وتختلف في داخله اللغات والأساليب والأحداث والأشخاص والعلاقات والأزمنة والأمكنة دون أن يقضي على التنوع والتعدد والإختلاف على خصوصية هذا العالم ووحدته الدال ، بل هو يؤسسها» .

3- طه وادي : يرى في كتابه (دراسات في نقد الرواية) بأن مفهوم الرواية هو :

« أن الرواية تجربة أدبية يعبر عنها بأسلوب النشر سردا وحوارا ، من خلال تصوير مجموعة من الأفراد أو شخصيات يتحركون في إطار نسق اجتماعي محدد الزمان والمكان ، ولها امتداد كمي معين يحدد كونها رواية ».

ومن خلال التعريفات السابقة نستطيع القول أن هذا الاختلاف بينها في تحديد مفهوم الرواية نابع أصلا من اختلاف وجهات نظر هؤلاء الكتاب غير أنهم يتفقون في تحديد العناصر المشكلة الرواية .

عناصر الرواية :

1- الشخصية :

هي التي تتشكل بتفاعلها ملامحُ الرواية, وتتكوَّن بها الأحداثُ, لذا فعلى الروائيي أن ينتقيَ شخوصَ روايته بحكمة بحيث يجعل الشخصية المناسبة في المكان المناسب.

تنقسم الشخصية إلى قسمين: إما أن تكون صادقة يمثلها البشر أو كاذبة تتجسد في الحيوانات أو الجمادات .

و تُنَقَّسِمَ الشخصيات من حيث الدور الذى تقوم به إلى:

شخصيات رئيسة وشخصيات ثانوية, فالشخصية الرئيسة هي التي تتواجد في المتن الروائي بنسبة تفوق الخمسين بالمائة,أما الشخصية الثانوية يأتي بها الروائي لربط الأحداث أو إكمالها, وهذا لا يعنى أنها غير مؤثرة, بل تكون مؤثرة لكنها غير مصيرية, تحرف مسار الرواية .

ولكل شخصية في الرواية أبعاد ثلاثة, هي:

MOKARABAT

. البعد التكويني: ويشمل الجانب الخَلْقيّ كالطول والجَمَال والنحافة, والجانب الخُلقي كالصدق والأمانة وحسن المعاملة.

. البعد الاجتماعي: وهو كل ما يرتبط بالشخصية من محيطها الخارجي, ويشمل الجوانب الثقافية والمكانة الاجتماعية والعلاقات المختلفة.

. البعد الوجداني أو النفسي: وهو كل ما يؤثر على الشخصية من مكنون نفسها كالرغبة والمزاج والمشاعر المختلفة.

وليس بالضرورة أن تظهر هذه الأبعاد في متن الرواية لكل شخصية, لكن لا يوجد شخصية دون الأبعاد السابقة1.

2- الزمن:

وهو الموجود المعنوي الذي يدرك بالموجودات الحسية, فتغير المحسوسات يوحي بتقدم الزمن , ولولا التغير لما أدركنا الزمن.

وعند الحديث عن الزمن علينا أن نتناول عدة أبعاد, فللزمن أبعاد ثلاثة:

زمن وقوع الأحداث, وزمن كتابة الأحداث, وزمن قراءة الأحداث.

والذي يخضع للتحليل عادة زمن الوقوع, أي وقت وقوع الحدث ومدته, ويمكن تقسيمه إلى:

1- زمن توقيت الحدث: قد يكون فلكيا: (صباحا, مساء,..), أو مداريا (شتاء, صيفا) أو حدثيا (زمن الاحتلال, عام الفيل...).

2- زمن مدة الحدث: أي المدة التي استغرقها الحدث في وقوعه.

وعند دراسة زمن مدة الحدث فمن الجيد أن أورد ما حواه تصنيف جيرار جينيت للزمن في الرواية, حيث ذكر محاور ثلاثة وهي:

1) الترتيب : فيقتضي مراعاة ارتباط الحدث بما قبله وما بعده وما زامنه2, ويتم ذلك ضمن إطار الاسترجاع والاستباق, فيجمع الروائي مع وقت الحضور حاضرًا آخر أو الماضي أو المستقبل محاولا إعطاء الحدث بُعدَه الكامل ووصفه الملائم.

والاسترجاع هو ذكر أحداث وقعت سابقا, وقد يكون داخليا يتمثل في الرجوع إلى أحداث ذكرت في الرواية, أو خارجيا يكون بالرجوع إلى أحداث وقعت خارج المتن الروائي. والاستباق فهو ذكر ما لم يحدث بعد, ويكون داخليا وهذا بذكر أحداث لها نصيب من التواجد في المتن الروائي بشكل لاحق للحاضر, أو خارجيا كذكر أحداث مستقبلية خارج إطار المتن الروائي.

وعادة يلجأ الروائيون إلى استخدام الاسترجاع أكثر من الاستباق, لأنهم بالاسترجاع يربطون الأحداث أو يكملون الوقائع, أما الاستباق فمن شأنه أن يفقد السرد عنصر الإثارة والتشويق.

1) غنيم كمال ، الأدب العربي في فلسطين ، ص 29 .

1) د.مها حسن القصراوي ، الزمن في الرواية العربية .

MOKARABAT

2) الديمومة: فهي زمن دوام الحدث, وتتفاوت في الرواية بين لحظات تستغرق عدة صفحات وبين أيام أو شهور لا تأخذ إلا عدة أسطر, وتأخذ الديمومة تقانات أربعة هي :الحذف, والمشهد, والوقفة, والخلاصة, والتداول بينها يكون حسب ما تقتضيه الغاية .

3) التواتر : فيتعلق بقضية تكرار بعض الأحداث, والأصل في معنى التواتر التتابع بشرط وجود مهلة بين المتتابعات كما في اللسان ، ويأخذ التكرار في الرواية أضرب ثلاثة, فالضرب الأول يتبلور بسرد حدث وقع مرة واحدة عدة مرات, ويلجأ الروائي إليه في الأحداث الجوهرية التي من شأنها أن تثير جدلا وتفاعلا بين شخصيات الرواية أو تعيد الحيوية للحدث عند ذكرها.

أما الضرب الثاني فهو ضد الأول إذ يسرد الروائي حدثا وقع عدة مرات مرة واحدة وذاك لأجل التخفيف عن روح القارئ المندفعة صوب متابعة الأحداث, ويبقى الضرب الأخير لثلاثية التواتر, وهو ثالث الأضرب في مجال التذاكر , تتبَيَّنُ هيئته بسرد متكرر لوقائع متكررة, إذ يقوم الكاتب بذكر ما وقع أكثر من مرة عدة مرات, ويستخدم الروائي هذا الضرب إذا رأى أن الحدث لازمُ الذكر ليتم به ترابطُ الأحداث1.

3- المكان:

هو المحيط الذي تجري عليه الأحداث أو تدور فيه, ويرتبط جدًا بالزمان إذ لا فصل معقول بينهما, فإذا ذكرتَ الصباح فلا بد أن تذكر أين طلع, وفي أي أفق لمع؟ .

والمكان يتفرع إما أن يكون مفتوحا, وهو المكان المحدود المكشوف للعيان, كالشارع والسوق وموقف السيارات والحدائق.

أو مغلقا وهو مستور عن العرفان, كالحجرة والغرفة والفندق والسجن.

أو لا متناهيا أي مجهول الحدِّ باللحظِ أو بالعدِّ, فلا يسعُنَا أن نرسمَ ملامحَه, أو ندركَ سرائرَه, مثل البحر والغابة والصحراء،أو يكون تصوريا وهو الذي لا يمكن رؤيته, فيُضْطَرّ الإنسانُ إلى تصوُّرِه, مثل الجنة والنار.

و الروائي يختار الأمكنة التي تناسب الأحداث, وكثرة الأماكن ليس دليلا على روعة المكتوب بل أحيانا قد تكون سببا في فقدان القارئ لعنصر الترابط الذهني لأحداث الرواية, وللمكان دلالات فالمقبرة تدل عل الأحزان, والسيارة على الارتحال والتجوال.

ويؤثر المكان على النفوس, فقد تشعر الشخصية مثلا بضيق الصدر أو انشراحه لمجرد وجودها في مكان ما ، وليس لانغلاق المكان أو انفتاحه دلالة حقيقية على نفوس الشخوص, فقد تكون الحالة النفسية في مكان مغلق جيدة وقد تكون سيئة وكذلك المكان المفتوح, إنما الحالة النفسية هي التي تجبر الشخصية على اللجوء إلى مكان معين فالشاعر مثلا يأوي إلى الطبيعة والأماكن اللامتناهية عادة لتساعده عل رسم خياله وانطلاق أفكاره, والداعي إلى فكر معين يميل إلى الأماكن المفتوحة ليتمكن من نشر فكره بمردود إيجابي يعود على شغله, والحزين الكئيب يؤثر على الأماكنَ المغلقة التي تحضن همه وتخفي شجونه ودموعه, فالمكان لا يصنع الشاعر ولا الداعي ولا الحزين بل المكان لديه قابلية احتواء الجميع بمختلف مشاعرها, إنما الشخص هو الذي يجعل للمكان طبيعة خاصة.

1) يوسف حجازي : www.pdffqctory.com .

MOKARABAT

وللمكان قدرة على تحقيق الانسجام بين الحدث والشخصيات والقارئ إذ لا يمكن للروائي أن يذكر شخصا ملتزما بالدين الإسلامي يريد أن يتنزه فيذهب إلى مَرقَص, فهذا لا يستقيم في ذهن القارئ ويؤدي إلى اغبرار الرواية بغبرة الخلط في الأمور.

4- الأحداث:

الحدث يتشكل من العناصر الثلاثة السابقة, فكل ما تقوم به الشخصيات في حدود الزمان والمكان يسمى حدثا.

ولا تستمر الأحداث على وتيرة واحدة من الحدة إذ لا بد من التراوح بين الهبوط والصعود للانتقال بالقارئ من حالة التأقلم التي تفرضها تلك الاستمرارية.

والأحداث إما أن تكون سابقة للصراع (مسببة له), أو لاحقة له (ناتجة عنه), أما المزامنة للصراع فهي الصراع نفسه.

ويعتمد الروائي الانتقائية عند إيراد الأحداث, فيختار ما يناسب غايته, ويجب الابتعاد عن كل حدث لا يخدم الغاية لأنه يؤدي إلى انفصام رتق الأحداث.

5- الصراع:

هو تصادم بين قوتين, وهو حدث مؤثر في غيره, وتلك القوة قد تكون مادية كالصراع بين شخصين أو جيشين, أو معنوية كالصراع بين الإنسان وشهوته أو القدر.

وقد يختلج صدر القارئ بمسألة: (ما المكوِّن للآخر؛ الصراع للحدث, أو الحدث للصراع؟)..

ولننظر نظرة واسعة إلى واقع العنصرين حتى ندرك الإجابة, إذ يتعين أن نقف في صف الكاتب مرة, وأخرى في صف القارئ لننصف الاثنين, فبالنسبة للروائي فإن الغاية تشكل لديه صراعات عديدة فيندفع إلى رسم الأحداث التي تناسب الصراعات, فيخط أحداثا سابقة للصراع وأخرى لاحقة بناء على ما يقتضيه ذاك الصراع.

أما إذا وقفنا موقف القارئ فإن الصراع عندنا يأتي نتيجة لتفاعل الشخصيات, وتفاعل الشخصيات يبدو لدينا بمظهرين: الأول تفاعل أدى إلى صراع, والآخر تفاعل نتج عن الصراع1.

و الصراع يكون بالقدرة على شدَّ القارئ لمواصلة القراءة بإيصاله إلى أعلى درجات الانسجام, ويزيد الانفعال عند المرحلة التي يحتدم فيها الصراع والمسماة بالعقدة, و هذه الأخيرة هي ذروة الصراع ,والصراع هو ذروة الحدث, والحدث هو نتاج تفاعل الشخصيات ضمن إطار الزمان والمكان.

6- الحبكة (النظم):

تُنتِجُ الفكرة لدى الروائي صراعات متعددة وأحداث متفرقة تخدم غاية الكاتب, هذه الصراعات تحتاج إلى هندسة وترتيب وحسن نظم, ولا يمكن أن يقوم الروائي بعرض جملة صراعات مبعثرة إذ لابد من تنسيق الصراعات مع الأحداث الملائمة بصورة متسلسلة بانسياب نحو الغاية حتى يمكن للقارئ أن يستوعبها ويربطها بسلاسة في ذهنه, وتنسيق الأحداث يسمى الحبكة أو النظم.

وأفضل النظم الانحدار المنساب الذي من شأنه أن يحقق الانسجام والتركيز, وهو أفضل بكثير من الانحدار الانكساري الذي يهبط بالقارئ من موقف إلى آخر .

---

1) يوسف حجازي : www.pdffqctory.com .مرجع سابق.

MOKARABAT

7- الفكرة:

هي أساس العمل الروائي, فلا زرع دون وضع, والفكرة هي الوضع الذي سينبت زرعا يحصده القارئ وينتفع به الروائي, فالفكرة هي الدافع والمحرك لرغبة الروائي في إعمال القلم استجابة لعنفوانها, وكل عناصر الرواية مسخرة لتحقيق الفكرة, فهي تولد الصراع في ذهن الروائي والصراع ينتج الأحداث, والأحداث تخضع للنظم المحكم, والنظم المحكم يعطينا رواية كاملة الأبعاد.

وللرواية فكرة رئيسة واحدة وهذا لا يعدم وجود أفكار أخرى ثانوية لكنها كلها تخدم الرئيسة, فلكل صراع موجود في الرواية فكرته المرتبطة بالفكرة الرئيسة, وقد يورد الروائي فكرة ثانوية غير مرتبطة بالرئيسة لغرض معين, فقد يقصد تضمين عدة أهداف في روايته أو إيصال مجموعة رسائل في جعبته إلى الجمهور, وهذا جيد إذا لم يكن بصورة متكررة .

8- النهاية:

هي اللحظة التي ينتظرها القارئ بكل شوق ويحبكها الروائي بكل إحكام وذوق والنهاية نهايتان: نهاية الرواية, فنهاية الرواية لا تعني بالضرورة نهاية الحدث, فقد تنتهي الرواية في وسط حدث ما, إنما تعني الوصول إلى الهدف واكتمال الفكرة, و النهاية الأخرى هي نهاية عناصر الرواية.

وبعد ذلك يمكن تصنيف النهايات إلى مفتوحة ومغلقة, فالمفتوحة يترك فيها الروائي للقارئ فرصة التفكير في كيفيتها, كأن يذكر حدثا يحوي استشهاد الشخصية المركزية ثم لا يكمل الحدث بل يدعه للقارئ, أما المغلقة فيذكر فيها الروائي نهايات العناصر للقارئ فيريحه من عناء التخمين.

9- اللغة:

وهي الوسيلة التي يتبعها الروائي للتعبير عن الحدث, وتأخذ شكلين: السرد والحوار فالسرد هو الكلام الذي يوصله الروائي للقارئ على لسانه, ويستخدم فيه الكاتب ما يجده مناسبا للمقام, فقد يستعين بأسلوب الرسالة أو التقرير أو الإعلان التجاري, أو الخبر الإذاعي, أو المقالة, ويعتمد الأسلوب السردي على الوصف, ما الحوار فهو كل كلام يجري على لسان شخصيات الرواية, ويأخذ أشكالا عديدة :فيكون بين الشخص ونفسه 1سواء كان مسموعا أو غير مسموع ويسمى حوارا داخليا ,من ذلك المناجاة والغمغمة والهمهمة, ويكون بين شخصية وطرف آخر, ويسمى حوارا خارجيا .

10- الكاتب:

هو واضع العناصر ومنتج الفن, ومن العيب أن نذكر العنصرَ ونهمل المعنصِرَ والروائي هو المتحكم في طبيعة المكتوب, يختار ما يشاء لما يشاء في حدود المندوب وعليه أن يراعي الطالب والمطلوب.

وكثيرا ما ينثر الكاتب أبعاد شخصيته على إنتاجه الأدبي وعمله الروائي, وهذا ليس غريبا, فإن الفكرة لا تتولد من الفراغ, بل هي عبارة عن حدث وقع في حياة الروائي وأَثَّر فيه, وليس بالضرورة أن يكون قد حَدَثَ له شخصيا, إنما

1) يوسف حجازي : www.pdffqctory.com .مرجع سابق..

MOKARABAT

حدث في حياته, فشارك في بناء فكرته, لأن المحيط يؤثر في النفس, والنفس تؤثر في الإنتاج, فالوقائع دوافع والصنائع نوابع.

كتابة الرواية تستوجب سعة الدراية بعناصرها من البداية حتى النهاية, فالشخصية ترسم الملامح, والزمان يظهره المكان, والمكان يحدد أبعاد الأحداث ,والأحداث تشكل المتن, والصراع يثير المشَاهد, والعقدة لحظة اشتداد الصراع , واللغة وسيلة لإعراب المنقول, والنظم إدخال المكتوب ضمن المقبول المعقول ,والنهاية اللحظة المنتظرة بعد الجَهْد الموصول, والكاتب واضع ما سبق فروعا بعد أصول, والفكرة الدافع لكتابة الكاتب فنَّهُ المأمول.1

MOKARABAT

1) يوسف حجازي : www.pdffqctory.com .مرجع سابق.